الدعارة بالدار البيضاء خلال فترة الحماية
من خلال وثائق الأرشيف الديبلوماسي بنانت

زهير لزرك
جامعة الحسن الثاني، الدار البيضاء
المغرب

انتشرت ظاهرة الدعارة خلال فترة الحماية بالمغرب بشكل سريع، خاصة في المناطق التي ينزل بها الجنود الفرنسيون، وكان لازما على سلطات الحماية مراقبة أقدم حرفة في العالم، وبالتالي وضع المومسات تحت المجهر ،خاصة على المستوى الأمني و الصحي، في محاولة لوقاية جنودها من الأمراض التناسلية التي كانت منتشرة بالمغرب قبل وخلال تلك الفترة ، وحاولت تجميع العاهرات داخل أحياء خاصة بالدعارة في الحواضر الكبرى فمثلا بفاس تم تجميع العاهرات في حي لالة ريبة، حي مولاي عبد الله وحي القصبة ببوجلود[1] . وفي الدار البيضاء كان حي بوسبير بالمدينة القديمة مكانا لتجمع عدد كبير من العاهرات قبل أن يتم ترحيلهن إلى حي خاص أكثر مراقبة سنة 1923م. لكن مشكل الدعارة غير المراقبة أو السرية ظل قائما بين دروب الدار البيضاء ، خاصة عند نزول جنود البحرية الفرنسية بالمدينة، مما أجبر السلطات الفرنسية اتخاذ مجموعة من التدابير والإجراءات للحد من انتشار الأمراض التناسلية، وتقنين الظاهرة بالمدينة. بعدما ارتفعت الأصوات المنادية بضرورة التدخل ومحاربة ظاهرة الدعارة السرية.

1- الدعارة السرية بالمدينة

في رسالة بعث بها المحامي goulvin. j إلى الإقامة العامة بالرباط[2]، نقل فيها معاناة سكان الدار البيضاء جراء تفشي ظاهرة البغاء السري بين أزقة المدينة، حيث حذر فيها من النتائج السلبية والخطيرة على المجتمع البيضاوي، خاصة على المستوى الصحي، واعتمد في كلامه على تقرير الدكتور GAUD والدكتور LEPINAY حول ارتفاع عدد المصابين بالأمراض التناسلية سنة 1935م بالدار البيضاء، وضمن المراسلة لوائح تحدد عدد الأبنية التي اعتبرت أوكارا للدعارة السرية تحت غطاء أسماء فنادق أو مكتبات..وضمت هذه اللوائح 14 بناية غير مرخص لها بتجارة الجنس، وأسماء 39 من النساء الممتهنات للدعارة السرية بالمدينة القديمة، وأسماء 14 امرأة تشغل نساء في "دعارة الرصيف" .

– لائحة بعض العاهرات اللواتي اشتغلن بالموعد وتحولن إلى العمل بدعارة الرصيف[3]

الإسم	اللقب
Pablo henriette	Germine
GAY Juliette	EDA
YVETTE BRIBET	Muguette
Andre murat	Suzanne
Jeanne joly	Lucette
Luisette trobat	Jaqueline
Georgette bachy	Madeline
Marthe cristofrey	Liliane
Incarnation sanchez	Pola
Marthe rey	Christiane
Antoinette weber	Denise
Henrette doyer	Arlette
Antoinette guibbert	Pierette

– لائحة لبعض الأمكنة والعدد المتواجد به من المومسات السريات سنة 1936م:

المكان	عدد العاهرات
زنقة provost رقم 43	2
زنقة provost رقم 46	1
زنقة provost رقم 21	4
زنقة السوق قرب المخبزة	2
زنقة القائد GIBER فندق LA REIGNE	2
زنقة أنفا فندق CIRTA	2
زنقة أنفا فندق CICILE	3
زنقة المخزن فندق PROVOST	5
زنقة قنصلية بريطانيا فندق MOGHEB	3
زنقة موكادور	2
فندق la croie rouge	3
فندق épicerie	2
فندق navigateur	2
Place du jardin publique n 160	2
Place du jardin publique pâtisserie	2
زنقة آسفي رقم 39	4
زنقة أزمور رقم 75	2
زنقة سيدي فتاح رقم 10	2

2- محاربة البغاء السري :

أكد السيد goulvin. j في مراسلته إلى الإقامة العامة أن مجموعة كبيرة من منازل الدعارة السرية معروفة لدى شرطة المدينة، لكنها لا تتدخل لردع هذه الممارسات، وأضاف أن الرأي العام للمجتمع البيضاوي يستنكر عدم قيام الشرطة بواجبها بل تتهمها باستفادتها من تلك المداخيل غير القانونية[4]، إلا أن إجابة رئيس الشرطة الإدارية[5] تضمنت وجهة نظر أخرى، حيث أكد أن الشرطة بالدار البيضاء دائمة التصدي لظاهرة الدعارة السرية، إلا أن عملها يصطدم بمجموعة من المعيقات وأولها عدم وضوح القانون المتعلق بكيفية التدخل وشروطه، بالإضافة إلى عامل الغطاء الذي تتخذنه العاهرات السريات لاستقبال زبنائهن، بحيث تتخفى خلف مهن مختلفة مثل الخياطة أو العمل في إحدى الفنادق..، وكانت تصل العقوبة في بعض الأحيان إلى إغلاق الفندق الذي يثبت أنه معد للدعارة، إلا أنه من الصعب تنفيذ مثل هذه العقوبة حسب المراقب المدني للدار البيضاء[6].

مشكل آخر كان يعيق عملية مراقبة العاهرات، هو التحول الذي كانت تعرفه مكانتهن داخل المجتمع البيضاوي، بعد خروجهن من الأمكنة المراقبة خاصة الحاصلات منهن على بطاقة الدعارة المقننة، وعمل بعضهن تحت حماية أعيان المدينة[7] .

وحذرت لجنة الصحة والنظافة الحضرية في إحدى تقاريرها المرفوعة إلى الإقامة العامة من خطر البغاء السري على الساكنة البيضاوية ، وطلبت من جهاز الشرطة التدخل لمنع عمل العاهرات بالدور السرية ، واعتبرت اللجنة هذه الدور أخطر الأماكن على الصحة العمومية بالدار البيضاء[8].

وبعد انتشار مجموعة من الأمراض التناسلية، وتسجيل حالات الإصابة بمرض الزهري أو "السيفيلس" SYPHILIS بالمدينة، زادت مخاوف الأوروبيين من تفشي هذا المرض بالدار البيضاء، خاصة مع نزول عشرات الآلاف من جنود البحرية الفرنسية بالمدينة سنويا، وزيارتهم لمواخير الدعارة مع كل نزول، قررت سلطات الحماية بناء حي خاص بالدعارة خارج أسوار المدينة القديمة، ونقل عاهرات "بوسبير" من باب مراكش إلى الحي الجديد[9] .

3- الدعارة المنظمة بحي "بوسبير" بالمدينة الجديدة (درب السلطان حاليا)

قررت سلطات الحماية بناء حي خاص بالعاهرات بالدار البيضاء سنة 1923م، خاصة بعد تفشي الأمراض التناسلية جراء تعاظم الدعارة السرية بأزقة المدينة القديمة، فتم بناء الحي على مساحة 24000 متر مربع وأحكمت مراقبته بسور وبمدخل وحيد يحرسه جنود سنغاليين، وقد ضم هذا الحي عاهرات من طبقة اجتماعية فقيرة من مختلف المناطق المحيطة بالدار البيضاء[10]، بالإضافة إلى بعض الأوروبيات واليهوديات، مما شكل مجتمعا مصغرا داخل الحي تختلف فيه العادات والتقاليد على مستوى الأكل والشرب والممارسات اليومية. وسهل هذا الحي عملية المراقبة على المستوى الأمني والصحي لهؤلاء النزيلات وزبائنهن.

أ- المراقبة الطبية للأمراض التناسلية

عرفت الدار البيضاء انتشار مجموعة من الأمراض التناسلية خلال فترة الحماية، وكان أهمها السيلان والتقرحات الفرجية وبنسبة أقل مرض الزهري أو السيفليس، حيث عرفت سنة 1922م إصابة 131 امرأة بالتقرحات و 108 أصبن بالسيلان و 66 فقط انتقلت لهن عدوى الزهري[11] ، وكان التداوي من هذه الأمراض عند المغاربة يمر عبر الأعشاب أو المياه المعدنية كمياه مولاي يعقوب الساخنة[12]

وتم إحداث مجموعة من المستوصفات لمحاربة الأمراض التناسلية خاصة السفليس بالمدن الكبرى كالدار البيضاء، مراكش، فاس، وجدة، واعتبر مستوصف الدار البيضاء بداية العشرينيات المستوصف النموذجي الذي يعتمد على أسس علمية والذي كان يسيره

الدكتور AZEMAR والدكتور MARCEL LEPINAY ، وذلك في إحدى المنازل بالمدينة، حيث خصصت إحدى الغرف للعلاج وغرفة أخرى خصصت كمختبر لإجراء التجارب، وكانت مهمة الحقن بالإبر تعطى لممرض مغربي[13].

وسهل إحداث الحي الخاص بالدعارة مراقبة العاهرات المشتغلات بالحي، وإجبارهن على زيارة المستوصف بصفة منتظمة، كما أتاح للأطباء عملية توعيتهن بالوقاية الذاتية من الأمراض الجنسية وتطبيق الإجراءات الصحية بصفة منظمة[14]، وكانت تتم توعيتهن عبر المنشورات والملصقات وخاصة عبر التحاور معهن أثناء الزيارة الطبية الأسبوعية[15]، كما يتم التعود على تطبيق الإجراءات الصحية خلال فترة العلاج التي تقضيها بعضهن في المستشفى.

وأكد الدكتور BARON[16] أنه لا يمكن الحديث عن تجنب الأمراض التناسلية بصفة نهائية بالرغم من المراقبة الطبية بالمستوصف لأن الزوار يأتون من خارج أسوار بوسبير بالإضافة إلى تفشي البغاء السري بالمدينة القديمة حيث تنتشر مومسات غير مراقبات من الصحة العمومية[17] .

ب- الحياة اليومية داخل بوسبير

- التغذية عند عاملات الجنس بالحي

خصت إحدى الدراسات عينة من النساء المشتغلات في الدعارة على مستوى التغذية بحي " بوسبير ، و شملت كل الوجبات التي تأخذها هؤلاء النسوة كل يوم، بالإضافة إلى أنواع الأغذية وطرق تحضيرها ومدى توفرها على الشروط الصحية والفائدة الغذائية التي تحتويها[18].

تتناول تلك النسوة وجبة الفطور متأخرة حوالي الساعة الحادية عشرة أو منتصف اليوم ، وتتكون من القليل من الشاي أو القهوة سوداء ، ومن الناذر أن تشرب القهوة بالحليب ، بالإضافة إلى الخبز أو "السفنج" وفي بعض الأحيان القليل من الحلوى.

وتوصلت الدراسة إلى أن أفضل وجبة من الناحية الصحية هي وجبة "الغذاء" ، وتكون على الساعة الثالثة بعد الزوال ، حيث تجتمعن النسوة على طبق واحد، ويتضمن الطبق القليل من اللحم، وفي غالب الأحيان لا تأكل هذه العينة من ساكنة الدار البيضاء اللحم إلا ثلاث مرات في الأسبوع وبكمية قليلة ، وقد يكون اللحم عبارة عن رأس أو أرجل الغنم حسب الدراسة[19] .

ورصدت الدراسة مجموعة من الوصفات التي كانت تحضر في تلك الفترة، وتنقسم إلى قسمين، أطباق خاصة بالفقراء و أخرى خاصة بفئة تتوفر على قدرة شرائية لا بأس بها، بالنسبة للفئة الأولى غالبا ما تتناول الخبز والشاي بالإضافة إلى أكلة مكونة من أمعاء الغنم كثيرة التوابل وقد كان يطلق عليها اسم "skenba"[20] .

أما الفئة الأخرى، فقد كانت تستهلك طبق "الدواز" المكون من بعض الطماطم والبطاطس المقلية وحفنة من الزيتون ، أو بعض السمك المقلي أو اللحم المفروم المشوي. وفي بعض الأحيان يكون الطبق على شكل "طجين" مكن من اللحم مقطع إلى أجزاء صغيرة و القليل من الزيت، البصل، الملح، الزعفران الملون، البطاطس، اللفت، ويطبخ على نار قليلة الحرارة لمدة لا تقل عن ساعة ونصف من الزمن، وحين الانتهاء من أكل الوجبة يتم شرب الشاي بالنعناع، أما أكلة الكسكس فهي ناذرة في الوجبات لدى نسوة "بوسبير" .

تؤكد الدراسة على أن النساء اللواتي لا يشتغلن لدى مُشغلات[21] دار الدعارة ، يأكلن بالإضافة إلى الطاجين والكسكس، الفواكه الطرية والجافة واللبن، كما يحضر الحليب في مائدتهن والزبدة و الكسكس باللبن أو "السيكوك"، بالإضافة إلى كسكس الذرة.

أما التغذية لدى العاهرات اليهوديات فتختلف عن نظيراتها المسلمات، حيث تحضر الأطباق بطريقة متميزة، نجد أكلة "السحينة" « shina » التي تتكون من اللحم أساسا وتوضع في آنية كبيرة وتطبخ داخل فرن تقليدي وتبقى في رماده من مساء الجمعة إلى صباح السبت وتأكل في وجبة الغذاء زوالا[22].

أما السمك فيأكل استثناء عند المسلمات داخل حي بوسبير، ويأكل على شكل طجين أو كرات بالأرز وغالبا ما تحضر معه مرق الطماطم.

ويتبين من هذه الدراسة أن وجبات اليهوديات كانت أكثر فائدة على المستوى الصحي من نظيراتها المسلمات .

أما وجبة العشاء تكون متأخرة في حدود الساعة العاشرة ليلا ، إلا أن القليل منهن من تكون متفرغة لتحضير هذه الوجبة لأن الليل كان يعتبر وقت عمل بالنسبة لهؤلاء النسوة ، إلا أن وجبة العشاء تكون في غالب الأحيان على حساب الزبون الذي يبيت رفقة إحداهن وتسمى "البيات" [23].

وتوصلت الدراسة إلى أن 28.5 بالمائة يتناولن وجبة عشاء خفيفة عبارة عن مرق والقليل من الخبز المحلي "كسرة" أو الأوروبي " كومير" مع القليل من الزيتون، أو سمك السردين المعلب، أو بعض القطاني المغلات، أو بعض الحلزون..وفي بعض الأحيان تكتفي بعض النساء بقطعة خبز وكأس من الشاي.

كانت تغذية هؤلاء النسوة غير كافية على مستوى الطاقة حسب الباحثان، وغالبا ما تتحصلن على تلك الطاقة القليلة من كؤوس الشاي المتوفرة على كمية كبيرة من السكر، وذلك بعد أن تنجح في بيع صينية الشاي لأحد الزبائن كي لا تدفع ثمنها للمقيمة على الدار "الباطرونة" .

- **تعاطي الخمر داخل الحي**

بالرغم من قوانين الشرطة المتعلقة بمنع شرب الخمر في تلك الفترة، أكدت دراسة الباحثان JEAN MATHIEU و P.H.MAUR[24] أن 11.9 بالمائة فقط من النساء المسلمات بحي بوسبير لا يشربنه أما الباقي فمنهم من تشربه بشكل منتظم ومنهن من تشربه كلما سنحت لها الفرصة بذلك ، وعن أنواع النبيذ المستهلك بالحي المذكور :

- نبيذ بروفانس vin province
- بيرة biere
- Anisette
- "ماء الحياة"
- Whisky
- Cognac
- Gin
- Rhum
- Liqueurs
- Apéritifs

وأعطت الدراسة أمثلة عن كمية النبيذ التي تشربه النساء بحي" بوسبير"، توصلت إلى أن فاطمة بنت أحمد إحدى نساء الحي تحب البيرة كثيرا ويمكنها شرب صندوق كامل خلال ساعة فقط، مع العلم أن الصندوق يحتوي على 20 قنينة بيرة، وفي غالب الأحيان يتم شرب النبيذ في مجموعات نسائية ليلا مع أكل الحلوى والاستماع للموسيقى عبر "الفونوغراف" phonographe أو عبر جهاز TSF" خلال الشرب [25].

وعملت الدراسة على نقل الطريقة التي كانت تشرب بها نساء الحي النبيذ، حيث كن يشربن كأس الخمر مرة واحدة دون تنفس خلال ذلك، ويوضح هذا التدقيق الكمية الكبيرة التي كانت تستهلك خلال تلك الفترة ، حيث أعطى الباحثان مثالا على ذلك، ففي إحدى الليالي شربت مجموعة من النساء في سهرتهن أكثر من 30 صندوقا من البيرة وثلاثة صناديق من الويسكي المحتوية في المجموع 200 قنينة.

وكان الخمر يدخل بوسبير بشكل يومي وبكميات كبيرة، والكل كان على علم بذلك بالرغم من أن القانون كان يمنع مثل هذه التجارة، إلا أن الدراسة كان لها وجهة نظر في ذلك وهي أن ذلك القانون وضع لحماية وغنى بعض التجار والوسطاء[26].

وأثبتت الدراسة أن أكثر من نصف نساء بوسبير" 55 بالمئة" يستهلكن المشروبات الغازية خاصة من نوع "كوكاكولا وبيبسي كولا" بانتظام، ويدخل هذا النمط من الاستهلاك ضمن ما أسمته الدراسة "البروباكاندا" الذكية التي تجلب الكثير من الأموال لأصحاب تلك المنتوجات الأوروبية، بعكس المنتجات المغربية المتمثلة في عصائر الفواكه فقد ظلت قليلة الإستهلاك في ذلك الوسط.

- **التدخين لدى عاهرات بوسبير**

توصلت الدراسة[27] إلى أن نسبة النساء المدخنات ببوسبير تصل إلى 89.5 بالمائة، حيث تدخن من 20 إلى 40 سجارة يوميا، وتبقى السجارة المغربية الصنع "كازاسبور" casasport في مقدمة الأنواع المستهلكة، ويأتي بعدها التبغ الأمريكي ثم "الفافوريت" favorite.

وكانت بعض أنواع التبغ قليلة الاستعمال في أوساط هؤلاء النساء مثل مسحوق التبغ أو ما يسمى "النفحة"، وكانت أنواع أخرى أكثر استهلاكا مثل الكيف خاصة من طرف النساء اللواتي تتعاطى للكحول بكثرة. لا يستهلكن غير الكيف المهرب من شمال المغرب أو من مناطق النفوذ الإسباني وهناك من كانت تتعاطى لبعض المخدرات الأخرى مثل " التقصيصة" وهي عبارة عن منشط كان يتكون من ملعقتين من صغيرتين من خليط ربعه من التبغ وثلاث أرباع من مسحوق القنب الهندي.

وكانت النساء ببوسبير تدخن الكِيف بواسطة جهاز مصنوع من الفخار يسمى " السبسي" بطول يصل 30 سنتيمتر، ولاحظ الباحثان إحدى النساء تدخن النرجيلة كحالة ناذرة جدا ، وقد عوضت القنينة الزجاجية خلال تلك الفترة بقشرة فاكهة جوز الهند حيث أفرغت الفاكهة من الداخل وملئ نصفها بالماء[28] .

خاتمة

يتضح من خلال ما سبق أن الدعارة المنظمة بالدار البيضاء كانت لها آلياتها على مستوى المراقبة الصحية والأمنية، عكس الدعارة السرية التي غابت فيها المراقبة الطبية ، فقد تم تجميع العاهرات بحي بوسبير مما سهل عملية المراقبة والتحكم في مداخيل تلك التجارة، فقد استفاد مجلس المدينة بالدار البيضاء من مداخيل حي بوسبير خلال تلك الفترة، وقدرت المداخيل سنة 1923 ب 56854 فرنكا من خلال كراء المنازل والضرائب المفروضة على المشتغلين بالحي[29]، وترويج مجموعة من السلع كالخمر والتبغ والمواد الغذائية، وبالتالي شكلت الظاهرة موردا ماليا إضافيا، سهرت سلطات الحماية على تنظيمه ومراقبته بشكل يسمح لها باستغلاله وبيع مختلف المنتجات من خلاله، والحرص على سلامة جنودها بتنظيم زيارات طبية أسبوعية لفائدة العاملات بالحي.

الهوامش:

[1] MPERONNIE , Maroc médical N 22, 1923 .

[2] مراسلة من السيد GOULVEN وهو دكتور في القانون و محامي بالدار البيضاء، إلى مدير مصلحة الأمن بالإقامة العامة بالرباط 2يونيو 1936م. الأرشيف الديبلوماسي لمدينة نانت الفرنسية.

[3] نفس المراسلة

[4] مراسلة من السيد GOULVEN وهو دكتور في القانون و محامي بالدار البيضاء، إلى مدير مصلحة الأمن بالإقامة العامة بالرباط 2يونيو 1936م. الأرشيف الديبلوماسي لمدينة نانت الفرنسية.

[5] مراسلة من رئيس الشرطة الإدارية بالدار البيضاء إلى رئيس الشرطة المفوض بتاريخ 27 يونيو 1936م، الأرشيف الديبلوماسي لمدينة نانت الفرنسية.

[6] مراسلة من المدير المدني لجهة للدار البيضاء إلى مدير المكتب المدني بالرباط بتاريخ 5 غشت 1936م، الأرشيف الديبلوماسي لمدينة نانت الفرنسية.

[7] DR LEPINAY ,la réorganisation de la prophylaxie antivénérienne, Maroc médicale n 22, 1923p 304

[8] مراسلة من السيد رئيس المصالح البلدية بالدار البيضاء إلى الإقامة العامة بالرباط بتاريخ 30 مارس 1926م، أرشيف المغرب رقم الملف A632.

[9] JEAN MATHIEU et P.H.MAURY, la prostitution marocaine surveillée de Casablanca , le cartier réservé archive du Maroc , N E 195n/546.

[10] JEAN MATHIEU et P.H.MAURY, la prostitution marocaine surveillée de Casablanca, le cartier réservé archive du Maroc, N E 195n/546.

[11] LEPINAY, la réorganisation de la prophylaxie antivénérienne, Maroc médical, n 22, 1923, p 304

[12] NOEL FIESSINGER, la médecine française au Maroc, A.MOLOINE et FILS, éditeurs, paris 1923 p 35

[13] NOEL FIESSINGER, P 36

[14] LEPINAY, la réorganisation de la prophylaxie antivénérienne, Maroc médical, n 22, 1923, p 305

[15] نفسه نفس الصفحة

[16] BARON, Maroc médical, 1937, n 77, P75

[17] Ibid.

[18] JEAN MATHIEU et P.H.MAURY, la prostitution marocaine surveillée de Casablanca, le cartier réservé archive du Maroc, N E 195n/546.

[19] JEAN MATHIEU et P.H.MAURY, la prostitution marocaine surveillée de Casablanca, le cartier réserve archive du Maroc, N E 195n/546.

[20] نفسه .

[21] المشغلة أو الباطرونة كانت تدير وكر الدعارة لحسابها الخاص أو لحساب مالك البناية، و غالبا ما تكون امرأة ذات تجربة في المجال.

[22] JEAN MATHIEU et P.H.MAURY, la prostitution marocaine surveillée de Casablanca,

[23] JEAN MATHIEU et P.H.MAURY, la prostitution marocaine surveillée de Casablanca, le cartier réserve archive du Maroc , N E 195n/546.

[24] نفسه

[25] JEAN MATHIEU et P.H.MAURY, la prostitution marocaine surveillée de Casablanca, le cartier réserve archive du Maroc , N E 195n/546.

[26] نفسه ص 54

[27] نفسه 55

[28] JEAN MATHIEU et P.H.MAURY , la prostitution marocaine surveillée de Casablanca , le cartier réserve archive du Maroc , N E 195n/546. P56

[29] LIPENAY , Maroc médicale n 22 ,1923 .